ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

OPEN ACCESS

Original article

Articles by Literary Narrators in the Balance, the Life of Al-Nimr ibn Tulab Al-Ukli as an Example

Leth Adel Mohsen Al-Lami

University of Wasit / College of Education for Humanities

***Correspondence author**:
laith133@uowasit.edu.iq

Received:20 **September** 2025
Accepted: 03 **January** 2026
Published: 01 **February** 2026

DOI:
https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss1.1341

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

Cite:
Al-Lami, . L. A. M. . (2026). Articles by Literary Narrators in the Balance, the Life of Al-Nimr ibn Tulab Al-Ukli as an Example. Wasit Journal for Human Sciences, 22(1). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss1.1341

ABSTRACT

The research addressed the study of historical narratives in the life of the poet Al-Nimr ibn Tulab Al-Ukli. There is a clear contradiction between the poetic texts, which are considered the true historical source for translating or reading the poet's life in a correct manner, and the news, events and adventures told by the narrators, which are not suitable for commenting on the topics of the poet's creative experiences themselves. The research raised this problem and the difference between what the narrators narrated and the content of the poem, whether in pride, elegy or otherwise. In the opening panels, poets often use women's names, which are not necessarily real women who existed in reality; however, this artistic form (women's names) was exploited by narrators and newsmen, who wrote about the poet's alleged relationships with women, and these became a biography and history of his life.

Keywords: Reports of the Narrators, The Difference Between the Poetic Text and the Historical Commentary, Analysis of the Poetic Text

مقولاتُ رُواةِ الأدبِ في الميزانِ النقدي، حياةُ النّمِر بن تَوْلَب العُكْلِي مثالا

م.م ليث عادل محسن اللامي
جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

المُستخلص

تناول البحث دراسة الروايات التاريخية في حياة الشاعر النمر بن تولب العُكْلي، فهناك مفارقة واضحة بين النصوص الشعرية التي تعتبر المصدر التاريخي الحقيقي في ترجمة أو قراءة حياة الشاعر بالشكل السليم، وبين ما قاله الرواة من أخبار وأحداث ومغامرات، لا تصلح للتعليق على موضوعات تجارب الشاعر الإبداعية نفسها. فأثار البحث تلك الإشكالية والاختلاف بين ما سرده الرواة، وبين مضمون القصيدة، سواء أكان في الفخر أو الرثاء أو غير ذلك. ففي لوحات الافتتاح غالبا ما يأتي الشعراء بأسماء نساء، هي ليست بالضرورة نساء حقيقية موجودة في الواقع؛ لكن استغلّ ذلك القالب الفني (أسماء النساء) الرواة والأخباريون فكتبوا أشياء عن علاقات الشاعر بالنساء المزعومة، وأصبحت سيرة وتاريخا في حياته.

الكلمات المفتاحية: أخبار الرواة، الاختلاف بين النص الشعري والتعليق التاريخي، تحليل النص الشعري.

المقدمة

من أهمّ الأخبار التي روتها مصادر الأدب في حياة الشاعر النمر بن تولب، خبر زوجاته، ولا سيما اسم امرأته "جمرة بنت نوفل" و "دعد" وغيرها، التي ورد اسمها في مقدمات افتتاح قصائد ديوانه.

ومثلما افتتح أغلب شعراء العصر القديم (الجاهلي) قصائدهم بأسماء نساء عدّة، كذلك افتتح الشاعر العكلي قصائده بهذا الاسم "جمرة" الذي كرّره سبع مرات في لوحات الافتتاح، حيث شكّل هذا الاسم ظاهرة في شعره. ونرى أنّها تستحق الدراسة، في متابعة مقولات رواة أخبار حياة النّمر بن تولب، ومكاشفة حقيقتها التاريخية الفعلية في حياته، ومقابلة تلك الأخبار التي روت هذه الأحداث المهمة في حياة الشاعر، بنصوص القصائد الشعرية التي تركها الشاعر إرثا تاريخيا ثابتا، لا يقبل الشكّ والرفض أمام متون الروايات والأخبار؛ بل هو الفيصل أي النص الشعر في كشف زيف الخبر من صدقه.

السؤال الذي يدور حوله البحث، أكانت "جمرة" زوجته فعلا أم أن تلك الأخبار ومقولات الرواة مستلّة، ومستخرجة من النص الشعري، ولا صلة لها بالحقيقة الفعلية العائلية لحياة الشاعر؟ ثم هل تجسّدت تلك العلاقة الزوجية، حسب ما تزعم المقولات، في متون قصائده الشعرية؟ بمعنى آخر هل نجد روابط عائلية في متن نصوصه الشعرية، تتحدث عن علاقته بها، أم اكتفى بذكر الاسم في لوحة الافتتاح فحسب، وانتقل في غرض القصيدة نفسها إلى الحديث عن موضوع آخر قصده الشاعر، ولم يكن في ظنّه وحسبانه تلك المرأة المزعومة التي نسبتها إليه بعض مقولات المؤرخين الذين توهموا وخُدِعوا في أمر روايتهم له؟ وكما تكشف هذه الرواية عن حقيقة

بعض الأمور التي تهمّنا في دراستنا " كان ابن المولى الشاعر المدني موصوفا بالعفّة وطيب الإزار، فأنشد عبد الملك بن مروان شعرا له من جملته:

وأبكي فلا ليلى بكتْ من صبابة لباكٍ ولا ليلى لذي البذل تبذلُ

وأخنع بالعتبى إذا كنت مذنبا وإن أذنبت كنتُ الذي أتنصّل

فقال عبد الملك: – من ليلى هذه؟ إن كانت حرّة زوجتكما، وإن كانت أمة اشتريتها لك بالغة ما بلغت، فقال: كلّا يا أمير المؤمنين، ما كنتُ لأُصَعِّر وجهَ حرٍ أبدا في حُرّته ولا في أمتِه، وما ليلى التي أنسب بها إلّا قوسي هذ سميتها ليلى، لأن الشاعر لابدّ له من النسيب." (فراج، 1979، ص. 29)

كان في ظن المتلقي الذي يقرأ روايات مناسبات القصائد في ديوانه، أن يجد في النص الشعري ما يؤيد ما تقوله تلك المقولات والأخبار في قصّة زواجه من جمرة، أو يطمئن لما تذكره! وإذا به يجد _أي المتلقي أو الباحث_ ثمّة فراغا شاسعا بين ما تزعمه الأخبار، وبين تلك النصوص الشعرية. ولا يسدّ خلّته إلّا بالعودة لنصوص ديوان الشاعر، والخروج بحكم نقدي في ذلك الأمر.

لذلك كانت دراستنا تهدف إلى إعادة مكاشفة تلك الأخبار بعرضها على النصوص الشعرية، فهل كانت ملائمة للصلة بين الخبر والغرض الأساس للقصيدة، أم أن هناك توهّما ومخادعة في ورودها وتعليقها على قصائد شعرية، لا تمت إليها بصلة البتّة في واقعها الاجتماعي لحياة الشاعر؟

في هذه الدراسة لا ننفي قصة أو خبر زواجه من "جمرة" في واقعها التاريخي الموجود في روايات أخبار حياة الشاعر؛ لكنّنا نحاول غربلة تلك المقولات والأخبار المتضاربة في تاريخها مع النص الشعري، ونثير قضية اعتماد تلك الروايات حقيقة ثابتة في حياة الشاعر، وتعليقها على النص الشعري دون تدقيق وتمحيص وفحص ونقد. وهذه القضية المثارة، وقع فيها كثير من جامعي الشعر وبعض محقّقي الدواوين، أثناء جمعهم وتحقيقهم، دون تعليق منهم أو إشارة عن تلك المقولات، في مجانستها وانسجامها مع أجواء القصيدة بمضمونها العام أو عدمها.

كلمات مفتاحية: أخبار الرواة، الاختلاف بين النص الشعري والتعليق التاريخي، تحليل النص الشعري.

أولا: – اختراع الأخبار وتأليف الأحداث.

ورد في كتاب الأمثال للمفضّل الضبّي "زعموا أن النّمر بن تولب كان أحبّ امرأة من بني أسد بن خزيمة يقال لها جمرة بنت نوفل، وقد أسنّ يومئذ، فاتخذها لنفسه وأعجب بها، وكان له بنو أخ فراودها بعضهم عن نفسها، فشكت ذلك إلى نمر وقالت: – إن بني أخيك ربّما راودني بعضهم عن نفسي، ولست آمنهم إن يغلبوني، فقال لها النمر: – قولي لهم وقولي إن أرادوا شيئا من ذلك، وقالت جمرة: – سأكفيك ما كان قولا، فأرسلتها مثلا، تقول إن كان القول فإني سأكفيك القول" (الضبي، 1983، ص. 69)

أمّا في كتاب الأغاني فقد ورد " أخبرني الحسن بن علي، قال حدثنا أحمد بن زهير، قال حدثنا محمد بن سلام: – كان للنمر بن تولب أخ يقال له: – الحارث بن تولب، وكان سيدا معظما، فأغار الحارث على بني أسد، فسبى امرأة منهم، يقال لها جمرة بنت نوفل، فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففركته، فحبسها، حتى استقرّت، وولدت له أولادا، ثم قالت له في بعض أيامها: أزرني أهلي، فإني قد اشتقت إليهم، فقال لها: إني أخاف إنْ صرتِ إلى أهلك أن تغلبيني على نفسي، فواثقته لترجعن إليه. فخرج بها في الشهر الحرام، حتى أقدمها بلاد بني أسد، فلما أطل على الحي تركته واقفا، وانصرفت إلى منزل بعلها الأول، فمكثت طويلا، فلم ترجع إليه، فعرف ما صنعت وأنها اختدعته فانصرف، وقال: ..." (الأصفهاني، 1958، ج22، ص. 276–277)

أمّا الزمخشري فقد روى في باب السين مع الهمزة " سأكفيك ما كان قولا: أي مقاولة وهي مخاصمة، كان للنمر بن تولب ابن أخ فراود امرأته جمرة بنت نوفل فشكت إليه ذلك فقال لها: إن راودك فقولي له كذا وكذا! فقالت له ذلك تريد أن دفع القول بالقول سهل هين أستطيعه وقد يعتاص على ما وراءه" (الزمخشري،1987، ج2، ص. 113)

أثارت الروايات التاريخية في حياة النمر بن تولب، قضية تأزّم العلاقة الأسرية بين عائلة الشاعر، فالمفضل الضبّي يحدثنا عن مراودة ابن أخ له على امرأته، وشكوتها إلى النّمر من ذلك. وأبو الفرج يحدثنا بانصرافها منه إلى أهلها، بعد زيارتهم وبقائها في منازلهم دون رجعة. ويفترض بقدر حجم هذا الموقف أو المشكلة العائلية، وما تقوله الأخبار والروايات فيها، كان لا بدّ أن نجد لها أثرا في شعره.

فموقف رواية المفضّل يستفز المشاعر، ويملي قريحة الشاعر غضبا وحسرة في تجاوز أقرب الناس إليه على حصنه وشرفه، فكيف تبرد عواطفه ومشاعره في التعبير عن خيانة الأهل وأبناء العمومة؟ "حيث "(فنجان، 2024، ص. 194) وعلى رأي الأصمعي الشعر نكد بابه الشرّ، وأيّ شرّ أعظم من الشرّ الذي فيه العكلي آنذاك؟ وما كان النمر بن تولب أحمق في حياته أو جبانا، حسب ما نجد صورته في قصائد ديوانه، وأخبار رواة حياته، في ترأس الوفد الذي توجه إلى الرسول (ص) طلبا للدخول في الاسلام، وشهرته بالكرم والفخر بنفسه.

ومن جانب آخر فيما أثارته المقولات التاريخية في تأزّم العلاقة الأسرية بين النمر بن تولب وزوجته، ما ذكِر في رواية أبي الفرج الأصفهاني، يبدو سند الرواية موهما في حقيقة صحّتها؛ لكنّ فحصه والتدقيق في أمره، يقودنا إلى نتيجة شكّ في قبول الرواية أيضا.

فمن هذا الحسن بن علي؟ هو اسم متداخل مع عدّة أسماء موجودة في مصادر تراجم أعلام شخصيات الأدب العربي القديم، حيث وجدنا فيها ما يأتي: – الحسن بن علي بن فضالة التيمي، والحسن بن علي العامري، والحسن بن علي العنزي، والحسن بن علي المعمري، والحسن بن علي العلّاف، والحسن بن علي البربهاري (الزركلي، 2002، ج2، ص. 200_201) فلماذا تنصّل أبو الفرج في بيان اسم لقبه أو كنيته المشهور بها بين أقرانه من الرواة؟ أيعقل في الظن أنه كان في عصر أبي الفرج راويا واحدا بهذا الاسم، حتى جرّده من ذكر اسم لقب أو كنية؟ أم أن هناك شيئا آخر في الأمر؟ أمّا الراوي الآخر في سلسلة السند هو "احمد بن زهير" وهذا مؤرخ معروف وثقة ومعاصر لشخصية مهمة في التاريخ الأدبي القديم محمد بن سلام. (المصدر السابق، 2002، ج1، ص. 128)

وما يثير استغراب الباحث، ويستوقفه في حقيقة هذه الرواية، هو راويها الأول محمد بن سلام الجمحي، فقد ترجم أخبار الشاعر في كتابه طبقات فحول الشعراء، وجعله في الطبقة الثامنة من طبقات الشعراء الجاهليين (الجمحي، 1974، ج1، ص. 160) وما وجدنا هذه الرواية المسنودة إليه في كتابه!

أمّا متن الرواية، فمضطرب ومهلهل، وسمات الصّنعة واضحة فيه، فقبيلة بني أسد كبيرة وواسعة، وفيها بطون عدّة، فأيّ بطن أو فخذ أو بيت تعرّضوا للغزو والغارة، حتى سُبِيَتْ المرأة جمرة؟ فهل غار أخو النمر بن تولب على قبيلة بني أسد كلّها؟ ولو وضّحت الرواية مكان الغارة، والبيوت أو الأفخاذ من بني أسد التي تصارعت معه، وأسباب ذلك الخلاف، لتمكّنا من العودة إلى مصادر أيام العرب وغزواتهم، والحكم في حقيقة الأمر من عدمه. لكن وروده بهذه التعميّة والضبابية المضطربة، نراه أشبه بحكايات رواة، يسامرون الناس في مجالسهم، للتسلية والقصّ، ولا قيمة تاريخية لها.

ويبدو لي بعد قراءة ديوان الشاعر، والروايات التي ترجمت عنه، وعدم قوله في غرضي الهجاء والمديح، وشهرته بالكرم وحسن الفعال، ووصف أبي عمرو بن العلاء له بالكيّس لحسن شعره، أنّه شخصية مهيّأة للزواج من امرأة حُرّة كريمة، تناسب علو مقامه بين أبناء قبيلته، ورجال قبيلته يتشرّفون بزواج بناتهم من أمثاله، فلماذا يطلب أو يتصدّق عليه أحد منهم بامرأة سبيّة ليتزوجها.

وفي ترجمة أخبار الشاعر عند ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء لم نجد ذكرا لمثل هكذا روايات، وورد في كتاب الحيوان للجاحظ 15/1 وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة 19/3 البيت الأول والثالث، في موضوع وجوب الصداقة وعدم الردّ بالإساءة. ولم يشيرا إلى وجود امرأة اسمها جمرة في حياة الشاعر.

كما نجد تناقضا في الروايتين السابقتين، بين المفضّل الضبّي وأبي الفرج الأصفهاني، فالأولى تقول إنه أحبّها، والثانية تقول بأنه جاءته هدية من سبي أخيه لبني أسد. ويشتركان في الاتفاق على أن هناك امرأة في حياته اسمها جمرة.

وكذلك فيما قاله الزمخشري، وروايته توافق رواية المفضّل الضبّي، في كون جمرة امرأته، وتعرّضت للمضايقة من ابن أخ الشاعر.

ويظهر أن هذا الموقف يصعب على الشاعر تجاوزه دون أن يترك أثرا في شعره، فهل أفصحت قصائد الديوان عن موقف الرواية المزعوم؟ وهل وجّه الشاعر سهام اللوم والتأنيب والنقد نحوهم، بسبب الخيانة من الأهل.

أمّا مقولات الرواة في كتاب الأغاني، عن خبر لقائهما في الحج، وسماعه خبر وفاتها (الأصفهاني، 1958، ج22، ص. 277_279) فهي أقرب إلى الشك والرفض، من الاطمئنان في صحّة حدوثها، لأنّنا لا نجد نصّا شعريا في ديوانه، يظهر لوعة الزوج في رثاء زوجته، حسب ما عظّمته تلك المقولات من أثر الحب في نفس الشاعر. أمّا الأبيات التي ذكرها الرواة فهي فارغة العاطفة، وعديمة الإثارة في المتلقي، ولا تفصح ولو بلمح خفي عن رثاء زوج فقد زوجه.

وأمّا رواية خيف على عقله وزواجه من دعد.

ورد في كتاب الأغاني خبر في حياة الشاعر النّمر بن تولت " أخبرني عمّي قال: حدثني الكراني قال: حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش. وأخبرنا ابنُ المرزبين قال: أخبرني عيسى بن يونس قال: حدثني محمد بن الفضل قال: حدثنا الهيثم بن عدي عن ابن عباس قال: لما فارق النمر بن تولب امرأته الأسدية جزع عليها، حتى خيف على عقله ومكث أياما لا يطعم ولا ينام فلما رأت عشيرته منه ذلك أقبلوا عليه يلومونه ويعيّرونه، وقالوا: إن في نساء العرب مندوحة ومتّسعا، وذكروا له امرأة من فخذه الأدنين يقال لها دعد، ووصفوها له بالجمال والصلاح، فتزوجها ووقعت من قلبه وشغلته عن ذكر جمرة وفيها يقول..." (المصدر السابق، 1958، ج22، ص. 278)

لم أعثر على أسماء هذه الشخصيات الكراني والعمري وابن المرزبين في كتب التراجم. وقد تفرّد هؤلاء الرواة في سلسلة السند بذكر الخبر من بين مصادر الأدب التي ترجمت أخبار الشاعر. فالخبر جاء بسلسلة رجال بعضهم توفى قبل صاحبه الذي روى له كما يزعم السند! فعيسى بن يونس وفاته 187هـ (الزركلي، 2002، ج5، ص. 111) وقد نقل الخبر عن شخصية متداخلة مع أسماء كثيرة نفسها موجودة في كتاب الأعلام محمد بن الفضل (المصدر نفسه، 2002، ج6، ص. 329_330) فمن محمد بن الفضل؟ الذي نقل عن الهيثم بن عدي ال متوفى207هـ، وهو شخصية معروفة في تاريخ التراث الادبي (المصدر نفسه، 2002، ج8، ص. 104). أمّا ابن عيّاش فنستغرب روايته أخبارا تختلف عن نمط حياته كعالم راوٍ للحديث مهتم بشؤون الدين والفقه! "اسماعيل بن عياش بن سليم ال عنسي106_182هـ أبو عتبة، عالم الشام ومحدّثها في عصره... وكان محتشما نبيلا جوادا" (المصدر السابق، 2002، ج1، ص. 320) وما غاية انفراد هؤلاء الرواة بهذا الخبر من بين أغلب المصادر التي روت أخبار النَّمِر بن تولب؟

هناك إشارة نقدية مهمّة توحي للشكّ في صحّة خبر زواجه من دعد، في مقطوعته الشعرية بيت شعري مشهور تداوله الأصمعي ونال إعجابه وحكم عليه وعلّق قائلا "وذكر الأصمعي عن حمّاد بن ربيعة بن النمر أنّه قال: أظرفُ الناسِ النّمر في قوله: **أهيم بدعد ما حييت فإن أمت أوصّ بدعد من يهيم بها بعدي**" (الدينوري، 1958، ج1، ص. 310) ولم ترد أيّة إشارة أو تعقيبا عند الأصمعي وابن قتيبة في أمر علاقته بتلك المرأة. ولعل دلالة ذلك أنّهما كانا يعرفان أن تلك الأسماء قوالب فنية استعملها الشاعر كغيره من الشعراء. وإلّا هل كان الشعراء يتغزّلون بزوجاتهم؟ ويصرحون بأسمائهن؟

وأذكر على سبيل المثال في الموقف نفسه هذه الرواية "كان ابن المولى الشاعر المدني موصوفا بالعفّة وطيب الإزار، فأنشد عبد الملك بن مروان شعرا له من جملته:

وأبكي فلا ليلى بكتْ من صَبابةٍ لباكٍ ولا ليلى لذي البَذل تبذلُ

وأَخْنَعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مُذنبا وإن أذنبتْ كنتُ الذي أتنصّلُ

فقال عبد الملك: – مَنْ ليلى هذه؟ إن كانت حرّة زوجتكما، وإن كانت أمة اشتريتها لك بالغة ما بلغت، فقال: كلّا يا أمير المؤمنين، ما كنتُ لأُصَغِّر وجهَ حرٍ أبدا في حُرّته ولا في أمتِه، وما ليلى التي أنسب بها إلّا قوسي هذ سميتها ليلى، لأن الشاعر لابدّ له من النسيب." (فراج، 1979، ص. 29)

وكيف نفهم أو نقبل التناقض المرفوض في الرواية والنص الشعري، إذا كان النمر يهيم بدعد والهيام هو أقصى درجات لوعة الاشتياق والحب، وبين الحاح أهله عليه أن يترك جمرة وماضيها، وتوصيتهم له بامرأة أخرى من أقاربه ليتزوجها وهو لا يعرفها إلّا عن طريق وصاية أبناء قبيلته!

ويبدو أن القطعة الشعرية كتبت في مرحلة متأخّرة من حياته بعد اسلامه، نظرا لما تحمله من معنى وصورة شعرية تقترب من تعاليم الدين الجديد " **ألستَ بشيخ قد خُطِمتَ بلحيةٍ فيقصر عن جهل الغرانقة المرد**". فضلا عن نظام المقطوعات الذي أخذ يتسع بكثرة في عصر صدر الاسلام " قالت مليكة بنت الحطيئة لأبيها: ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأنّها في الآذان أمضى، وبأفواه الرواة أعلق. وقال أبو سفيان بن حرب لعبد الله بن الزَّبَعْرى: لو أسهبتَ! قال: حسبك من الشعر غُرّة لائحة، أو سِمَة فاضحة" (التوحيدي، 1984، ج8، ص. 12–13)

ويبدو أيضا أنّ إعجاب الأصمعي في هذا البيت، فتح نافذة كبيرة لبعض الكَتَبَة الذين استغلّوا مهنة تأليف الأخبار والروايات في تسويق قصة زواجه منها. وما يزيد ظنّنا في ذلك الأمر _ وأنّها ليست زوجته، بعد تحليل النص وفحص الرواية_ أن الشاعر في البيت الثالث والرابع ذكر أفعال ماضية واضحة الدلالة في نفي وجود تلك امرأة واقعية عاشت معه " قالت، زرتها، هبلت " ثمّ اسلوب الاستفهام " ألم..، ألستَ..".

وأنّ صاحب الأغاني ذكر رواية أخرى كان اسم امرأته ضباعا، فقال " أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلف قال: أخبرنا محمد بن سلام قال: خرج النّمر بن تولب بعدما كبر في إبله فسأله سائل فأعطاه فحل إبله فلما رجعت الإبل إذا فحلها ليس فيها فهتفت به امرأته وعذلته وقالت: فهلّا غير فحل إبلك؟ فقال لها:

دعيني وأمري سأكفيكه وكوني قعيدةَ بيت ضباعا

فإنّك لنْ ترشدي غاويا ولن تدركي لك حظّا مضاعا" (الأصفهاني، 1952، ج22، ص. 275)

ونجد في ديوانه قصيدة يذكر فيها اسم امرأته ربيعة، حيث يقول: –

"وَتَأمُرُنِي ربيعةُ كلَّ يومٍ لِأَشْرِيَها وأَقْتَنِيَ الدَّجَاجَا

وما تُغنِي الدَّجَاجُ الضّيفَ عَنّي وَلَيسَ بِنَافِعِي إلّا نِضَاجا" (طريفي، 2000، ص. 51)

وأخيرا، على أن الأمر ليس كافيا للرفض في شأن تلك المرأة، بقدر البحث في أسئلة تثيرها مقولات رواة الأدب. وبعد قراءتنا ديوانه الشعري، وجدنا مفارقة واضحة بين ما تزعمه المقولات من زواجه وحبّه وجنونه بها، وبين نصوص قصائده الشعرية، التي ورد فيها اسم جمرة. فهل وثّق الشاعر ذلك الحب في قصائد ديوانه؟ وهل ترك ذلك الحب أثرا في نفسه، وهل ظهر في نتاجه الشعري؟

ثانيا: – النصّ الشعري دالّا، ورافضا.

تبيّن بعد قراءة ديوان الشاعر النَّمِر بن تولب العكلي، أنّ أسماء النساء التي وردت في مقدّمات لوحات افتتاح قصائده، ذات دلالة فنية، ولم ترتبط تلك الأسماء بأيّ علاقة إنسانية اجتماعية مع الشاعر. وغلب استخدام اسم جمرة في لوحات افتتاح قصائد ديوانه من بين غيرها من الأسماء. وكان الدكتور محمود عبد الله الجادر رائدا في ميدان دراسته هذا الجانب، حيث مهّد بدراسة فذّة في تنظير نقدي متميّز لتفسير هذه الظاهرة _حول مدلولات رموز المرأة في مقدّمة القصيدة العربية قبل الاسلام_ في مجمل الشعر الجاهلي كافّة. ووقفنا على الروايات المؤلَّفة التي أخذت تشرح تفاصيل زواج الشاعر من أسماء النساء التي ذكرها في مقدمات قصائده، وتأكّدت أهمية ذلك بإشارة الجادر في قوله " قد تشير بعض الأخبار إلى حقيقة وجود امرأة بعينها في حياة الشاعر كالذي روي من أن هريرة كانت جارية يتعشّقها الأعشى وأنّ جمرة هي زوجة النّمر بن تولب... ولكننا نكاد نقرّر بالرغم من ذلك كلّه أن من غير المستبعد أبدا أن هذه الأخبار قامت من الاعتماد على النص الشعري وثيقة مصدّقة في إطار واقعية المعالجة الموضوعية، ولهذا فإن مثل هذه الأخبار مما لا يصحّ أن يعتمد عليه في تقرير مثل هذه الحقائق" (الجادر، 1990، ص. 73) فأخذت الدراسة تقارن بين مقولات الرواة لحياة الشاعر وبين قصائده الشعرية، في دراسة تحليلية في قراءة النص الشعري، وتفكيك شفراته البنائية في انتقال المبدع بين لوحات نصّه المتعددة، واستظهار نفسية أهواء الشاعر في أثناء كتابة نصه الإبداعي، فمرّة في حالة فخر بمجد ماض وشباب منصرم وفروسية ذاهبة، وأخرى في حالة شكوى الزمن وتبدّل أهوائه ومتغيراته، وغيرها من المشاعر أو الأحداث التي أذكت خياله الشعري في ولادة تجربة إبداعية افتتحت بذلك الاسم.

ليتبيّن في خاتمة البحث أن مثل تلك المقولات لا يطمأن في الاعتماد عليها للتحقيق في حياة الشاعر التي ذكرها محققو الدواوين وجامعيها حين ترجموا له، وأنّهم استغلّوا مقدّمات نصوص القصائد ذلك القالب التقليدي الذي التزمه الشعراء في نتاجاتهم الشعرية في سرد أخبار لا تمتّ لحقيقة حياة الشاعر بصلة.

قال النَّمِر بن تولب:

" تَصابى وَأَمسى عَلاهُ الكِبَر وَأَمسى لِجمرَةَ حَبلٌ غَرَر

وَشابَ وَلا مَرحَباً بِالبَيا ضِ وَالشَيبِ مِن غائِبٍ يُنتَظَر

فَلَو أَنَّ جَمرَةَ تَدنو لَهُ وَلَكِنَّ جَمرَةَ مِنهُ سَفَر

سَلامُ الإِلَهِ وَرَيحانُهُ وَرَحمَتُهُ وَسَماءٌ دَرَر

غَمامُ يُنَزِّلُ رِزقَ العِبادِ فَأَحيا البِلادَ وَطابَ الشَجَر

أَرى الناسَ قَد أَحدَثوا شيمَةً وَفي كُلِّ حادِثَةٍ يُؤتَمَر

يُهينونَ مَن حَقَّروا سَيبَهُ وَإِن كانَ فيهِم يَفي أَو يَبَر

وَيُعجِبُهُم مَن رَأَوا عِندَهُ سَواماً وَإِن كانَ فيهِ الغَمَر

أَلا يا لَذا الناسِ لَو يَعلَمو نَ لِلخَيرِ خَيرٍ وَلِلشَرِّ شَر

فَيَومٌ عَلَينا وَيَومٌ لَنا وَيَومٌ نُساءُ وَيَومٌ نُسَر" (طريفي، 2000، ص. 63-65)

تبدو لوحة النسيب التي افتتح الشاعر قصيدته فيها، أزمة صراع زمني مختلف في رؤية نظر الشاعر التي عاصرت خليط من الناس غيّرت ملذّات الحياة وماديتها ومغرياتها أعرافهم وتقاليدهم المتوارثة. نلاحظ سخط الشاعر من الشيب، لكن سخطه في أساسه موجّه الى ما كان يعاني من موقف سيّئ يذمّه أمامه. وإلّا هو على قدر بسيط من الأخلاق الكريمة والحكمة والدين، بمضمون هذه الرواية " بينما نحن بهذا المربد جلوس، إذ أتى علينا أعرابيّ أشعث الرأس، فوقف علينا، فقلنا: والله لكأن هذا ليس من أهل هذا البلد! قال: أجل والله! وإذا معه قطعة من جراب، أو أديم، فقال: هذا كتاب كتبه لي محمد رسول الله صلى الله عليه. فأخذناه فقرأناه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه، لبني زهير بن أُقَيش _قال الجريري: هو حيّ من عكل_ إنكم إنْ شهدتم أن لا إله إلّا الله، وأني رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم الخمس من الغنائم، وسهم ذي القربى، والصَّفيّ _وربّما قال: وصفيّه_ فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله. فقال لهم القوم: حدّثنا، أصلحك الله، بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه، يقول: صوم شهر الصبر، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر، يذهبن وَحَرَ الصدر. فقال له القوم: أأنتَ سمعتَ هذا من رسول الله صلى الله عليه؟ قال: ألا أراكم تخافون أنْ أكذِب على رسول الله صلى الله عليه؟ لا حدّثتكم حديثا! ثمّ أومأ بيده إلى صحيفته، ثمّ انصاع مدبرا. فقيل لي لمّا ولّى: هذا النّمر بن تولب العكلي الشاعر" (الجمحي، 1974، ج1، ص. 162_164)

تضمّن البيت الرابع تأثيره بالفكر الاسلامي وخطابه، وجعله جسر انتقال أو حسن تخلّص الى غرضه الموضوعي في شرحه قضية اجتماعية من وجهة نظر شاعر عاصر زمنين مختلفين. في احتقارهم للرجل الوفي البار لأنّه قليل المال؛ واعجابهم للرجل الدنس الخلق المكروه لأنّه كثير المال فحسب! فيا ترى أين اسم زوجته "جمرة" كما تزعم الروايات من هذه القصيدة؟ " والذي ينبغي أن نقف عنده في دراستنا هذه أنّ الرواة نسجوا قصصا حول علاقات الشعراء بنساء بأعيانهن ثم تداول اللاحقون تلك القصص حتى غدت كالحقائق التاريخية..." (الجادر، 1990، ص.71)

فهل نجد ترابطا فكريا بين المقدمة إن كان خطابها موجها إلى زوجته، وبين موضوع أو غرض القصيدة أو بين بقية لوحات القصيدة؟ وهل ستتحقق وحدة الموضوع فيها؟ لكن إذا فهمت القصيدة على أن اسم تلك المرأة _التي سافرت دون رجعة في حياة الشاعر، وفي نصّه الشعري أيضا، بعد أن ذكرت في لوحة الافتتاح فحسب. ومن حيث غياب أيّة اشارة عنها في القصيدة _وقد حرص الشاعر على إخفاء كل ما يتعلّق بمضامينها في قصيدته_ قالب فني وكما قال ابن رشيق القيرواني " وللشعراء أسماء تخفّ على ألسنتهم، وتحلو في أفواههم، فهم كثيرا ما يأتون بها زورا نحو: ليلى، وهند، وسلمى ... وأشباههن" (القيرواني، د.ت، ج2، ص. 121-122)

تحقّق الغرض الذي قصده الشاعر، وتحقّقت وحدة الهدف الموضوعي. فهي جسر انتقال وبناء لخيال الشاعر في الحديث عن قيم عربية أصيلة تعرّضت لضياع وتبدّل وتغيّر رصدها الشاعر برهافة حسّه وقوّة فكره وحدّة نظره.

قال النَّمِر بن تولب:

"صَرَمَتكَ جَمرَةُ وَاِستَبَدَّ بِدارِها وَعَدَت عَوادي الحَرب دونَ مَزارِها

زَبَنَتْك أَركانُ العَدَوِّ فَأَصبَحَت أَجَأ وَجُبَّةُ مِن قَرارِ دِيارِها

وَكَأَنَّها دَقرى تَخَيَّلُ نَبتَها أَنُفٌ يَعُمُّ الضالَ نَبتُ بِحارِها

عَزَبَت وَباكَرَها السَمِيّ بديمَةٍ وَطفاءَ تَمْلأها إِلى أَصبارِها

وَكَأَنَّ أَنماطَ المَدابِنِ وَسطُها مِن نَورِ حَنوتِها وِمِن جِرجارِها

وَلَقَد لَهَوتُ بِطِفلَةٍ مَيّالَةٍ بِلهاءَ تُطلِعُني عَلى أَسرارِها

عَبِقَ المُمَسَّكُ وَالعَبيرُ بِجَيبِها وَكَأَنَّ نَضخَ دَمٍ عَلى أَظفارِها

وَكَأَنَّها عَيناءُ أُمّ جُؤَيذِرٍ خَذَلَت لَهُ بِالرَملِ خَلفَ صِوارِها") طريفي، 2000، ص.67-73)

" خَرِقٌ إِذا نامَ طافَت حَولَهُ طَوفَ الكِعابِ عَلى جَنوبِ دُوارِها

بأغنَّ طِفلٍ لا تُصاحِبُ غَيرَهُ فَلَهُ عُفافَةُ دَرِّها وَغِرارِها

هَل تَذكُرينَ جُزيتِ أَحسنَ صالِحٍ أَيّامَنا بِمُليحَةٍ فَهرارِها

أَزمانَ لَم تَأخُذ إِلَيَّ سِلاحَها إِبلي بَجِلَّتِها وَلا أَبكارِها

اعتَزَّها أَلبانَها وَلُحومَها فَأُهينَ ذاكَ لِضَيفِها وَلِجارِها

وَلرفقَة في لَيلَة مَشمولَةٍ نَزَلَتْ بِها فَغَدَت عَلى أَسآرِها

كانوا يُسيمونَ المَخاضَ أَمامَها وَيُغَرِّزونَ بِها عَلى أَغبارِها

وَلَقَد شَهِدتُ إِذا القِداحُ تُوحّدَت وَشَهِدتُ عِندَ اللَيلِ مَوقِدَ نارِها

عَن ذاتِ أَولِيَةٍ أَساودُ رَبَّها وَكَأَنَّ لَونَ المِلحِ فَوقَ شِفارِها

فَمَنحَتُ بَدأَتها رَقيباً جانِحاً وَالنارُ تَلفَحُ وَجهَهُ بِأُوارِها

كانَت عَقيلَةُ مالِهِ فَأَذَلَّهُ عَن بَعضِ قنيَتِها رَجاةُ بِكارِها

حَتّى إِذا قُسِمَ النَّصيبُ وَأَصفَقَت يَدُهُ بِجِلدَةِ ضَرعِها وَحُوارِها

ظَهَرَت نَدامَتُهُ وَهانَ بِسُخطِهِ شَيئاً عَلى مَربوعِها وَعِذارِها

وَلَقَد شَهِدتُ الخَيلَ وَهيَ مُغيرَةٌ وَشَهِدتُها تَعدو عَلى آثارِها

وَحَوَيتُ مَغنَمها أَمامَ جِيادِها وَكَرَرتُ إِذ طُرِدَتْ عَلى أَدبارِها

وَلَقَد شَفَيتُ مِنَ الرِكابِ وَمَشيِها وَزَفيفِها نَفسي وَمِن أَكوارِها

وَكَأَنَّما انطَمَرَت جَنادِبُ حَرَّةٍ في سَردِها فَرَمَتْك عَن أَبْصارِها" المصدر نفسه، 2000، ص.67-73)

توافقت حالة الشاعر الإبداعية في ولادة نص أدبي متكامل اللوحات التقليدية، مع انشراح حالته النفسية الشعورية التي حملت سمة الافتخار والقول فيه، وذلك ما سرده في اسلوب قصصي رائع في لوحة التشبيه، ولوحة وصف ضخامة الناقة وبدانتها، ثم لوحة الفخر التي استغرق الشاعر فيها خمسة عشر بيتا.

تبدو جمرة قالبا تقليديا في لوحة افتتاح طلل ولا نجد صورة امرأة حيّة شغلت حيزا فكريا أو نفسيا في لوحة غرضه الموضوعي. وخطابه موجها عن طريق اسلوب الحوار المستخدم في القصيدة إلى الفخر بالذات (الجادر، 1990، ص.62) وبيان مواقفها النبيلة في الكرم والشجاعة. وبهذا الفهم والوعي في تحليل النص، تتحقق الوحدة الموضوعية والعضوية في أبيات القصيدة. أمّا إذا فسّرت جمرة على أنّها اسم امرأة حية، وليست قالبا كما تزعم الروايات في لي عنق النصوص في تفسيرها؛ لحدث خلل واضطراب، وتعسّر الفهم بالوجه الصحيح. والسؤال الذي يراودنا ما علاقة هذه المرأة وارتباطها ببقية لوحات القصيدة، إن لم تكن قالبا فنيا؟ أو ما علاقتها بلوحة الغرض الموضوعي بشكل أدق؟ نلاحظ أن لا علاقة البتّة بين امرأة كإنسانة حية، وأغراض القصيدة الأخرى. وفكرة غرض القصيدة الفخر، وليس الغزل. وقد نبّه الشاعر إلى غرضه الذي يروم الوصول إليه في مطلع قصيدته، ولا سيما في لوحة التشبيه التي تضمّنت انشراح نفسيته وانفتاحها في رسم صورة إبداعية تهيئ ذهن المتلقي أن ما ينوي الشاعر قوله والوصول إليه الفخر والاعتزاز بتاريخ فروسيته وكرمه. (المصدر نفسه، 1990، ص.401-402)

قال النَّمر بن تولب:

"شَطَّت بَجَمرَةَ دارٌ بَعدَ إلمامِ نَأَيٌ وَطولُ بِعادٍ بَينَ أَقوامِ

حَلَّت بِتَيماءَ في قَومٍ إِذا اجتَمعوا في الصُبحِ نَادَى مُناديهِم بِأَشآمِ

وَقَد لَهَوتُ بِها وَالدارُ جامِعَةٌ بِالخَرجِ فَالنَهي فَالعَوراءِ فَالدَامِ

حَتّى اشتَفى وَشفى مِنها لُبانَتهُ وَما يَزيدُ شِفاءً غَيرَ اِسقامِ

كَأَنَّ جَمرَةَ أَو عَزَّت لَها شَبهاً في العَينِ يَومَ تَلاقينا بَأَرمامِ

مَيثاءُ جادَ عَلَيها مُسبِلٌ هَطِلٌ فَأَمرَعَت لِاِحتِيالِ فَرطَ أَعوامِ" (طريفي، 2000، ص. 125_127)

"إِذا يَجِفُّ ثَراها بَلَّها ديمٌ مِن كَوكَبٍ نَزل بِالماءِ سَجّامِ

لَم يَرعَها أَحَدٌ وارتبَّها زَمَناً فَأَوٌ مِنَ الأَرضِ مَحفوفٌ بِأَعلامِ

تَسمَعُ لِلطَيرِ في حافاتِها زَجِلاً كَأَنَّ أَصواتَها أَصواتُ جُرّامِ

كَأَنَّ ريحَ خُزاماها وَحَنوَتِها بِاللَيلِ ريحُ يَلَنْجُوجٍ وَأَهضامِ

أَلَيسَ جَهلاً بِذي شَيبٍ تَذَكّرُهُ مَلهى لَيالٍ خَلَت مِنهُ وَأَيامِ

وَمَنهَلٍ لا يَنامُ القَومُ حَضَرتَهُ مِنَ المَخافَةِ أُجنٌ ماؤُهُ ظامي

قَد بِتُّ أَحرُسُهُ وَحدي وَيَمنَعُني صَوتُ السِباعِ بِهِ يَضبَحنَ وَالهامِ

ما كانَ إِلّا إِطِّلاعي في مُدالَجَةٍ ثُمَّ اِنصِرافي إِلى وَجناءَ مِجذامِ

أَفرَغتُ في حَوضِها صُفناً لِتَشرَبَهُ في داثِرِ خَلقِ الأَعضادِ أَهدامِ

فَعافَت الماءَ وَاِستافَت بِمَشفَرِها ثُمَّ اِستَمَرَّت سَواهُ طَرفُها سامِ

صَدَّت كَما صَدَّ عَمّا لا يَحِلُّ لَهُ ساقي نَصارى قَبيلِ الصُّبحِ صُوَّامِ

أَرمي بِها بَلَداً تَرميهِ عَن بَلَدٍ حَتّى أُنيخَت عَلى أَحواضِ ضِرسامِ" (المصدر نفسه، 2000، ص. 127–129)

بنى الشاعر قصيدته المتعدّدة اللوحات على ذكريات ماض منقطع لا يمكن اللحاق به، أو الوصول الى مشارف نهاياته. فتعصف في ذهنه ذكريات الملذّة المنصرمة، أو طريقة التعبير بأسلوب التقليد الجاهلي القارّ في القصيدة القديمة، لأنّ الشاعر عاصر وشهد تعاليم الدين الجديد، وما فرضه النظام الاسلامي في تغيير بعض الأنماط والأساليب في الشعر خاصة والحياة عامة. ثم يستفيق من خيال الذكريات الماضية باسلوبها القديم، مع بعض الخجولة والتبرير في الموقف _أَلَيسَ جَهلاً بِذي شَيبٍ تَذَكّرُهُ مَلهى لَيالٍ خَلَت مِنهُ وَأَيامِ_ بدافع انتمائه لبيئة مجتمع اسلامي جديد، قيّد حدود خيال الشاعر بما يتوافق مع نجاح الدعوة الاسلامية.

تكاد الأبيات العشرة الأولى تمثّل قمّة إبداع خياله الشعري، لكن يبدو احساسه بخجولة الموقف السابق في حياته الجاهلية في البيت الحادي عشر واضحا. وفيه تكمن أهمية فهم الدلالة لاسم "جمرة" حيث تبدو مرحلة انصرام حياة اللهو ومتطلّبات رغبات الشباب، لأسباب منها تقدّم عمره وصوله إلى مرحلة الشيخوخة والكبر، وانتمائه لبيئة اسلامية جديدة، ولا يربطه بذلك الواقع إلّا خيط الذكريات فحسب. فضلا عما تمثّله المشهد الإبداعي نفسه، حيث تضمّنت القصيدة حتى البيت الحادي عشر لغة شعرية حملت صور غنائية متنوّعة، تفيض بعنفوان الشباب والحياة وباتساع متعدد الجوانب لاسيما في لوحة التشبيه الرائعة. بعكس ما حملته القصيدة نفسها بعد البيت (11) حيث نلاحظ ضمور الصورة الغنائية، وانحسار نفسية الشاعر في تصويره عمل أو ممارسة أشبه بالعادة اليومية التي يفعلها الناس آنذاك. في كيفية ورود ناقته بأرض مقحلة، ولا حيلة له إلّا في بحثه عن آثار مورد قديم متهدّم الأطراف، افترش ساحته بجلدة تمنع ترسّب الماء في جوف الأرض، أسكب فيها صفنا من الماء. مع تظافر لوحات القصيدة لإشاعة مناخ أو جو الافتخار بالذات والاعتزاز بالنفس واعتدادها. فكان الاسم "جمرة" مفتاح ذكريات متقدّمة في مرحلة حياة الشاعر، أسقطتها شعريته في لوحة إبداعية متكاملة الأغراض.

قال النمر بن تولب العُكْلي: –

" تَأَبَّدَ مِن أَطلالِ جَمرَةَ مَأسَلُ وَقَد أقفَرت مِنها شَراءٌ فَيَذبُلُ

فَبُرقَةُ أَرمامٍ فَجَنبا مُتالِعٍ فَوادي سَليلٍ فَالنَّدِيُّ فَأَنجَلُ

وَمِنها بَأَعراضِ المَحاضِرِ دِمنَةٌ وَمِنها بِوادي المُسْلَهِمَّةِ منزِلُ

أَناةٌ عَلَيها لُؤلُؤٌ وَزَبَرجَدٌ وَنَظمٌ كَأَجوازِ الجَرادِ مُفَصَّلِ

يُرَبِّبُها التِّرعيبُ وَالمَخضُ خِلفَةً وَمِسكٌ وَكافُورٌ وَلُبنى تَأَكَّلُ

يُشَنُّ عَلَيها الزَعفَرانُ كَأَنَّهُ دَمٌ قارِتٌ تُعلى بِهِ ثُمَّ تُغسَلُ

سَواءٌ عَلَيها الشَيخُ لَم تَدرِ ما الصّبا إِذا ما رَأَتهُ وَالأُلوفُ المُقَتَّلُ

وَكَم دونَها مِن رُكنِ طَودٍ وَمَهمَهٍ وَماءٍ عَلى أَطرافِهِ الذِئبُ يَعسِلُ

وَدَسَّت رَسولاً مِن بَعيدٍ بِآيَةٍ بِأَنَّ حَيّهم وَاِسأَلهُمُ ما تَمَوَّلوا" المصدر نفسه، 2000، ص. 94–97)

" فَحُيّيتِ مِن شَحطٍ فَخَيرٌ حَديثُنا وَلا يَأمَنَ الأَيامَ إِلّا مُضَلَّلُ

لَعَمري لَقَد أَنكَرتُ نَفسي وَرابَني مَعَ الشَيبِ أَبدالي الَّتي أَتَبَدَّلُ

فُضولٌ أَراها في أَديميَ بَعدَ ما يَكونُ كِفافَ اللَحمِ أَو هُوَ أَفضَلُ

كَأَنَّ مَحَطّاً في يَدَي حارِثِيَّةٍ صَناعٍ عَلَت مِنّي بِهِ الجِلْدَ مِن عَلُ

وَقَولي إِذا ما غابَ يَوماً بَعيرُهُم تُلاقونَهُ حَتّى يَؤوبَ المُنَخَّلُ

فَيُضحي قَريباً غَيرَ ذاهِبِ غَربَةٍ وَأُرسِلُ أيماني وَلا أَتَحَلَّلُ

وَظَلْعِي وَلَم أُكسَر وَإِنَّ ظَعينَتي تَلُفُّ بَنِيها في البَجادِ وَأُعزَلُ

وَدَهري فَيَكفيني القَليلُ وَإِنَّني أَؤوبُ إِذا ما شِبتُ لا أَتَعلَّلُ

وَكُنتُ صَفِيَّ النَفسِ لا شَيءَ دونَهُ فَقَد صِرتُ مِن إِقصا حُبَيبى أُذهَلُ

وَبُطئ عَن الدّاعي فَلَستُ بِآخِذٍ إِلَيهِ سلاحي مِثلَ ما كُنتُ أَفعَلُ

تَدارَكَ ما بَعدَ الشَباب وَقَبلهُ حَوادِثُ أَيّامٍ تَمُرُّ وَأَغفُلُ

يَوَدُّ الفَتى بَعدَ اِعتِدالٍ وَصِحَّةٍ يَنوءُ إِذا رَامَ القِيامَ وَيُحمَلُ

يَوَدُّ الفَتى طولَ السَلامَةِ وَالغِنى فَكَيفَ تَرى طولَ السَلامَةِ يَفعَلُ

دَعاني العَذارى عَمَّهُنَّ وَخِلْتُنِي لي اِسمٌ فَلا أُدعى بِهِ وَهوَ أَوّلُ

وَقَد كُنتُ لا تُشوي سِهامي رَمِيَّةً فَقَد جَعَلتْ تُشوي سِهامي وَتَنصلُ

رَأَتْ أَمُّنا كيصاً يُلَفِّفُ وَطبَهُ إِلى الأَنسِ البادينَ وَهوَ مُزَمَّلُ

فَلَمّا رَأَتهُ أُمُّنا هانَ وَجْدُها وَقالَت أَبونا هَكَذا سَوفَ يَفعَلُ") المصدر نفسه، 2000، ص. 98–102)

" أَرى أُمَّنا أَضحَت عَلَينا كَأَنَّما تَجَلَّلها مِن نافِضِ الوِردِ إِفكَلُ

فَقالَت فُلانٌ قَد أَعاشَ عِيالَهُ وَأَودى عِيالٌ آخَرونَ فَهَزَّلوا

أَلَم يَكُ وِلْدان أَعانوا وَمَجلِسٌ قَريب فَنُخزى إِذ يَكُفُّ وَيُحمَلُ

لَنا فَرَسٌ مِن صالَحِ الخَيلِ نَبتَغي عَلَيها عَطاءَ اللَهِ وَاللَهُ يَنحَلُ

يَرُدُّ عَلَيها العَيرَ مِن بَعدِ إِلفَهِ بِقَرقَرَةٍ وَالنَقعُ لا يَتَزَيَّلُ

وَحُمرٌ تَراها بالفَناءِ كَأَنَّها ذُرى كُثُبٍ قَد مَسَّها الطَلُّ من عل

عَلَيها مِنَ الدَهنا عَتيقٌ وَمَورَةٌ مِنَ الحَزنِ كُلاً بِالمَرابِعِ تَأكُلُ

فَقَد سَمِنَت حَتّى تَظاهَرَ نَيُّها فَلَيسَ عَلَيها لِلروادِفِ مِحمَلُ

إِذا وَرَدَت ماءً وَإِن كانَ صافِياً حَدَتْهُ عَلى دَلوٍ يُعَلُّ وَيُنْهَلُ

فَفي جِسمِ راعيها هُزالٌ وَشُحْبَةٌ وَضَرٌّ وما مِن قِلَّةِ اللَّحمِ يُهزَلُ

فَلا الجارَةُ الدُنيا لَها تُلْحِيَنَّها وَلا الضَيفُ فيها أَن أَناخَ مُحوَّلُ

إِذا هَتَّكَت أَطنابَ بَيتٍ وَأَهلهُ بِمَعطِنِها لَم يوردِوا الماءَ قَيَّلُوا

عَلَيهِنَّ يَومَ الوِردِ حَقٌّ وَذِمَّة وَهُنَّ غَداةَ الغِبِّ عِندَكَ حُفَّلُ

وَما قَمعُنا فيها الوِطابَ وَحَولَنا بُيوتٌ عَلَيها كُلُّها فوهُ مُقبِلُ

فَإِن تَصْدُرِي يُحلَبنَ دونَكِ حَلبَةً وَإِن تَحضُري يَلبث عَلَيكِ المَعجَّلُ") المصدر نفسه، 2000، ص. 102–106)

استطاع الشاعر أن يقدّم لوحة إبداعية متكاملة الأغراض في استرجاع ذكريات مكانته الاجتماعية، مستعينا باسلوب الحوار في اطراء نصّه الشعري، وإدامة تحريك نبض جيشانه العاطفي في ولادة مخاضه الإبداعي. وتكمن قيمة استرجاع الذكريات في محاولة التمهيد بتلك الصور الفنية، لا سيما في لوحة الغزل في الأبيات (4_10) إلى افتراش أرضيّة مهيّأة لانشراح نفسية الشاعر، للحديث عن غرضه الموضوعي، وهو الفخر بماضيه الحافل بالقوة والفروسية والعزّة والكرم، فضلا عن رسم جو أسري مفعم بالحركة والعطاء، تتداخله تفاصيل استطاع من خلالها بناء صور فنية رائعة.

ولعلّ أهمَّ موقفا في هذه القصيدة يبيّن أن اسم جمرة قالب فني، قوله في البيتين: –

" وَظَلْعِي وَلَم أُكسَر وَإِنَّ ظَعينَتي تَلُفُّ بَنِيها في البَجادِ وَأُعزَلُ

أَرى أُمَّنا أَضحَت عَلَينا كَأَنَّما تَجَلَّلها مِن نافِضِ الوَردِ إِفكَلُ „) المصدر السابق، 2000، ص. 99)

فيهما دلالة واضحة على استمرار علاقته بزوجته حتى مرحلة متأخّرة من عمره، ولديه أولاد كثر منها، تهتمّ زوجته بهم. وليس لموضوع الرواة في سبيي جمرة وهدايتها للنمر بن تولب، وهروبها منه، وجنونه بها، وطلاقها، شيئا يذكر في شعره.

قائمة المصادر والمراجع

_ الزركلي، خيرالدين، الأعلام، 2002، بيروت دار العلم للملايين، ط15.

_ الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، 1958، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، القاهرة دار الكتب المصرية، ط2، ت1952م

_ الضَّبّي، المفضّل بن محمد، أمثال العرب، 1983، قدّم له وعلّق عليه إحسان عباس، بيروت دار الرائد العربي، ط2.

_ التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس، 1984، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، بيروت دار صادر، ط1.

_ الجادر، محمود بن عبد الله، 1990، دراسات نقدية في الأدب العربي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد كلية الآداب.

_طريفي، محمد نبيل، 2000، ديوان النمر بن تولب العكلي، جمع وشرح وتحقيق، بيروت دار صادر، ط1.

_ فراج، عبد الستار أحمد، 1979، ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح، الناشر: مكتبة مصر.

_ الدينوري، ابن قتيبة، 1958، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، القاهرة دار المعارف، ط2.

_ الجمحي، محمد بن سلام، 1974، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: أبو فهر محمود محمد شاكر، جدّة دار المدني، ط2.

_ القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، مركز تحقيقات كامبيوتري علوم سلامي.

_ الزبيدي، علي بن أحمد، في الأدب العباسي، عمان دار الأديب.

_ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، 1987، المستقصى في أمثال العرب، بيروت دار الكتب العلمية، ط2.

_ فنجان، ليث عادل محسن (2024). المعاناة الفردية من الانتماء القبلي قصيدة الحرب الجاهلية اختيارا. 2024. مجلة لارك للفلسفة واللسانيات. وقائع المؤتمر العلمي الثامن لكلية الآداب_جامعة واسط. 16 (3)، 193_208. DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss16.3598

List of Sources and References

_ Al-Zarkali, Khair al-Din, Al-A'lam, 2002, Beirut, Dar al-Ilm lil-Malayin, 15th ed.

_ Al-Isfahani, Abu al-Faraj, Al-Aghani, 1958, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim and others, Cairo, Dar al-Kutub al-Masriya, 2nd ed., d. 1952

_ Al-Dabbi, Al-Mufaddal ibn Muhammad, Proverbs of the Arabs, 1983, introduced and commented on by Ihsan Abbas, Beirut, Dar al-Ra'id al-Arabi, 2nd ed.

_ Al-Tawhidi, Abu Hayyan Ali ibn Muhammad ibn al-Abbas, 1984, Al-Basair wa al-Dhakha'ir, edited by Widad al-Qadi, Beirut, Dar Sadir, 1st ed.

_ Al-Jader, Mahmoud ibn Abdullah, 1990, Critical Studies in Arabic Literature, Ministry of Higher Education and Scientific Research, University of Baghdad, College of Arts.

_ Tareefi, Muhammad Nabil, 2000, Diwan al-Nimr ibn Tulab al-'Ukli, compiled, explained, and verified, Beirut, Dar Sadir, 1st ed.

_ Faraj, Abdul Sattar Ahmad, 1979, Diwan Majnun Layla, compiled, edited, and explained, published by Maktabat Misr.

_ Al-Dinawari, Ibn Qutaybah, 1958, Poetry and Poets, edited and explained by Ahmad Muhammad Shaker, Cairo, Dar Al-Maaref, 2nd ed.

_ Al-Jamhi, Muhammad ibn Salam, 1974, Classes of the Great Poets, read and explained by Abu Faher Mahmoud Muhammad Shaker, Jeddah, Dar Al-Madani, 2nd ed.

_ Al-Qayrawani, Abu Ali Al-Hasan ibn Rasheeq, Al-Umdah fi Sana'at Al-Shi'r wa-Naqduh, Center for Computing Research and Sciences, Salam.
_ Al-Zubaidi, Ali ibn Ahmad, On Abbasid Literature, Amman, Dar Al-Adeeb.
_ Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Jar Allah Mahmoud ibn Umar, 1987, Al-Mustaqsa fi Amthal Al-Arab, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 2nd ed.
_ Finjan, Laith Adel Mohsen (2024). Individual Suffering from Tribal Affiliation: A Selection of Pre-Islamic War Poems. 2024. Lark Journal of Philosophy and Linguistics. Proceedings of the Eighth Scientific Conference of the College of Arts, University of Wasit. 16 (3), 193-208. DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss16.3598